

حكايات ألف ليلة

من عجائب الكرماء

بقلم : أ. عبد الحميد عبد المقصود

رسوم : أ. إسماعيل دياب

إشراف : أ. حمدي مصطفى

المؤسسة العربية الحديثة

للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

يُحْكَى أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ (حَاتِمُ الطَّائِيُّ) دَفَنُوهُ فِي رَأْسِ جَبَلٍ ، وبَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ حَوْضَيْنِ مِنْ حَجَرٍ ، وتَمَاثِيلَ لِبَنَاتٍ مَحْلُولاتِ الشَّعْرِ ..

وكَانَ تَحْتَ ذَلِكَ الجَبَلِ نَهْرٌ جَارٍ ؛ فَكَانَتْ قَوَافِلُ التِّجَارَةِ ووُفُودُ الْمُسَافِرِينَ يَنْزِلُونَ لِلرَّاحَةِ والْمَبِيتِ والتَّزَوُّدِ بِالْمَاءِ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ ، فَيَسْمَعُونَ النُّوَاحَ والصُّرَاخَ طُوَالَ اللَّيْلِ مِنَ الْعِشَاءِ حَتَّى الصَّبَاحِ ، فَإِذَا أَصْبَحُوا لَمْ يَجِدُوا أَحَدًا غَيْرَ تَمَاثِيلِ الْبَنَاتِ ..

وذَاتَ يَوْمٍ خَرَجَ الْمَلِكُ (ذُو الْكُرَاعِ) مَلِكُ (حِمْيَرَ) مِنْ بَلَدِهِ هَاجِرًا أَهْلَهُ وعَشِيرَتَهُ ، فَبَاتَ بِذَلِكَ الْمَكَانِ لَيْلَةً ، فَلَمَّا سَمِعَ الصُّرَاخَ ، قَالَ مُتَعَجِّبًا :

ـ مَا هَذَا الْعَوِيلُ الَّذِي فَوْقَ الْجَبَلِ ؟!

فَقَالُوا لَهُ :

ـ هَذَا قَبْرُ (حَاتِمِ الطَّائِيِّ) .. إِنَّ عَلَيْهِ حَوْضَيْنِ مِنْ



حَجَرٍ وتَمَاثِيلَ بَنَاتٍ مَحْلُولاتِ الشَّعْرِ ، وكُلَّ لَيْلَةٍ يَسْمَعُ النَّازِلُونَ فِي هَذَا الْمَكَانِ الْعَوِيلَ والصُّرَاخَ ..

فَقَالَ (ذُو الكِرَاعِ) سَاخِراً مِنْ (حَاتِمِ الطَّائِيِّ) :

ـ يَا (حَاتِمُ) نَحْنُ اللَّيْلَةَ ضُيُوفُكَ ، ونَحْنُ جِيَاعٌ ، بَلْ شَدِيدُو الْجُوعِ ..

وَيُحْكَى أَنَّ الْمَلِكَ (ذَا الكَرَاعِ) غَلَبَ عَلَيْهِ النَّوْمُ فِى تِلْكَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ كَانَ مَرْعُوبًا، وَأَخَذَ يَصِيحُ قَائِلاً:

ـ يَا عَرَبُ الْحَقُونِى وَأَدْرِكُوا نَاقَتِى..

فَلَمَّا جَاءَ النَّاسُ عَلَى صُرَاخِهِ، وَجَدُوا نَاقَتَهُ تَضْطَرِبُ بِشِدَّةٍ، فَنَحَرُوهَا وَشَوَوْا لَحْمَهَا وَأَكَلُوهُ، وَبِالطَّبْعِ أَكَلَ مَعَهُمْ (ذُو الكَرَاعِ)، فَلَمَّا انْتَهَوْا مِنْ ذَلِكَ سَأَلُوهُ عَمَّا حَدَثَ، فَقَالَ لَهُمْ:

ـ لَقَدْ نِمْتُ اللَّيْلَةَ، فَرَأَيْتُ (حَاتِمَ الطَّائِىَّ) فِى الْمَنَامِ وَقَدْ أَمْسَكَ بِيَدِهِ سَيْفًا، وَقَالَ لِى: لَقَدْ جِئْتَنَا وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا شَىْءٌ حَتَّى نُكْرِمَكَ بِهِ.. ثُمَّ عَقَرَ نَاقَتِى بِسَيْفِهِ، وَقَالَ:

ـ لَوْ لَمْ تُسَارِعُوا بِنَحْرِهَا لَمَاتَتْ..

وَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ قَرَّرَ (ذُو الكَرَاعِ) مُوَاصَلَةَ سَيْرِهِ فَرَكِبَ نَاقَةَ وَاحِدٍ مِنْ أَتْبَاعِهِ، وَأَرْكَبَهُ خَلْفَهُ، فَلَمَّا كَانَ



مُنْتَصَفَ النَّهَارِ رَأَوْا رَاكِبًا عَلَى نَاقَةٍ يُسْرِعُ خَلْفَهُمْ ، وَفِى يَدِهِ نَاقَةٌ أُخْرَى ، فَقَالَ لَهُ (ذُو الكِرَاعِ) :

ـ مَنْ أَنْتَ ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ :

ـ أَنَا (عَدِىُّ بْنُ حَاتِمٍ الطَّائِىُّ) .. أَيْنَ (ذُو الكِرَاعِ) مَلِكُ (حِمْيَرَ) ؟

فَقَالَ (ذُو الكِرَاعِ) :

ـ أَنَا (ذُو الكِرَاعِ) مَلِكُ (حِمْيَر) ..

فَقَدَّمَ لَهُ (عَدِىٌّ) النَّاقَةَ قَائِلاً :

ـ ارْكَبْ هَذه النَّاقَةَ عوضًا عَنْ نَاقَتِكَ الَّتِى نَحَرَهَا أَبِى ..

فَقَالَ (ذُو الكِرَاعِ) مُتَعَجِّبًا :

ـ وَمَنْ أَخْبَرَكَ بذَلِكَ ؟!

فَقَالَ (عَدِىٌّ) :

ـ أَتَانِى أَبِى فِى الْمَنَامِ فى هَذه اللَّيْلَة ، وَقَالَ لِى يَا (عَدِىُّ) إِنَّ (ذَا الكِرَاعِ) مَلِكَ (حِمْيَر) اسْتَضَافَنِى اللَّيْلَةَ وَلَمْ يَكُنْ عِنْدِى مَا أُقَدِّمهُ لَهُ ؛ فَنَحَرتُ لَهُ نَاقَتَهُ ، فَأَدْرِكْهُ يَا بُنَىَّ بنَاقَةٍ يَرْكَبُهَا ..

فَأَخَذَ (ذُو الكِرَاعِ) النَّاقَةَ وَتَعَجَّبَ مِنْ كَرَمِ (حَاتِمٍ الطَّائِىِّ) حيًّا وَمَيتًا ..

* * *



وَيُحكَى أيضًا عنْ (معن بن زائدة) - وكانَ منْ كرامِ العَربِ - أنَّهُ خرجَ ذاتَ يومٍ للصَّيْدِ والْقنْصِ ، فعطشَ عطشًا شديدًا ، ولمْ يجدْ معَ أتْباعهِ ماءً .. وبينما هوَ علَى هذهِ الحَالِ أقْبلتْ عليْهِ ثلاثُ فتياتٍ ، وكُلُّ واحدةٍ منْهُنَّ تحْملُ قِرْبةَ ماءٍ ، فطلَبَ منهنَّ (معنٌ) ماءً ليشْربَ فأعْطيْنَهُ ، فلمَّا شربَ طلَبَ منْ أتْباعهِ مالاً ليُعْطيَهُ

لِلفَتَياتِ ، فَلَمْ يَجِدْ مَعَهُم مالاً ، فَأَعْطَى كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ عَشَرَةَ أَسْهُمٍ مِنْ كِنانَةِ سِهامِهِ ، نُصُولُها مَصْنُوعَةٌ مِنَ الذَّهَبِ الخالِصِ . . فَقالَتْ إِحْدَى الْفَتَياتِ :

ـ لَمْ نَسْمَعْ عَنْ رَجُلٍ بِهَذا الكَرَمِ سِوَى (مَعْنِ بْنِ زائِدَةَ) . . وَقالَتْ فَتاةٌ أُخْرَى :

ـ فَلْتَقُلْ كُلُّ واحِدَةٍ مِنّا شِعْراً تَمْدَحُ فِيهِ كَرَمَ (مَعْنِ بْنِ زائِدَةَ) . .

وَراحَتْ كُلُّ واحِدَةٍ مِنَ الْفَتَياتِ الثَّلاثَةِ تَمْدَحُ كَرَمَ ذَلِكَ الرَّجُلِ . . وَكانَ مِمّا قُلْنَهُ مِنَ الشِّعْرِ :

ـ وَمِنْ جُودِهِ يَرْمِي الْعِداءَ بِأَسْهُمٍ

مِنَ الذَّهَبِ الإِبْرِيزِ صِيغَتْ نُصُولُها

لِيُنْفِقَها الْمَجْرُوحُ عِنْدَ دَوائِهِ

وَيَشْتَرِي الأَكْفانَ مِنْها قَتِيلُها

* * *



وَيُحْكَى أَيْضًا عَنْ (مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ) وَجُودِهِ وَكَرَمِهِ ، أَنَّهُ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ مَعَ أَتْبَاعِهِ لِلصَّيْدِ ، فَاقْتَرَبُوا مِنْ قَطِيعِ ظِبَاءٍ ، فَلَمَّا رَأَتْهُمُ الظِّبَاءُ تَفَرَّقَتْ ، وَرَاحَ كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُطَارِدُ ظَبْيًا لِيَظْفَرَ بِهِ ، وَطَارَدَ (مَعْنٌ) ظَبْيًا ، حَتَّى بَعُدَ عَنْ أَتْبَاعِهِ ، فَلَمَّا ظَفِرَ بِالظَّبْيِ رَأَى شَخْصًا مُقْبِلًا نَحْوَهُ مِنَ الصَّحْرَاءِ عَلَى ظَهْرِ حِمَارٍ ، فَرَكِبَ (مَعْنٌ) جَوَادَهُ

وَأَسْرَعَ يَسْتَقْبِلُ ذَلِكَ الشَّخْصَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :

ـ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ يَا أَخَا الْعَرَبِ ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ :

ـ لَقَدْ أَتَيْتُ مِنْ أَرْضِ قُضَاعَةَ ، وَقَدْ كَانَتْ مُجْدِبَةً مُنْذُ سَنَوَاتٍ ، لَكِنَّهَا أَخْصَبَتْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، فَزَرَعْتُ خِيَارًا ، وَقَدْ طَرَحَ الْخِيَارُ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ ، فَجَمَعْتُ مِنْهُ أَحْسَنَهُ ، وَقَصَدْتُ الْأَمِيرَ (مَعْنَ بْنَ زَائِدَةَ) لِأُقَدِّمَ لَهُ هَذَا الْخِيَارَ وَأَنَالَ مِنْهُ الْعَطَاءَ ؛ لِأَنَّهُ مَعْرُوفٌ بِكَرَمِهِ الْمَشْهُورِ . .

فَقَالَ (مَعْنٌ) :

ـ كَمْ تُؤَمِّلُ أَنْ يُعْطِيَكَ (مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ) ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ :

ـ أَلْفُ دِينَارٍ . .

وَقَالَ (مَعْنٌ) :



ـ فَإِنْ قَالَ لَكَ هَذَا القَدْرُ كَثِيرٌ ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ :

ـ إِذَنْ خَمْسمائَةَ دِينَارٍ . .

وَقَالَ (مَعِنٌ) :

ـ فَإِنْ قَالَ لَكَ كَثِيرٌ ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ :

ـ مِائَةَ دِينَارٍ . .

وَقَالَ (مَعِنٌ) :

ـ فَإِنْ قَالَ لَكَ كَثِيرٌ ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ :

ـ خَمْسِينَ دِينَارًا ..

وَقَالَ (مَعِنٌ) :

ـ فَإِنْ قَالَ لَكَ كَثِيرٌ ؟

فَغَضِبَ الرَّجُلُ ، وَقَالَ :

ـ أَدْخَلْتُ قَوَائِمَ حِمَارِى هَذَا فِى وَجْهِهِ حَتَّى أَفْقَأَ عَيْنَيْهِ ..

فَضَحِكَ (مَعِنٌ) وَانْطَلَقَ بِجَوَادِهِ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى عَسْكَرِهِ وَأَتْبَاعِهِ ، فَدَخَلَ خَيْمَتَهُ ، وَقَالَ لِحَاجِبِهِ :

ـ إِذَا أَتَاكَ أَعْرَابِىٌّ يَحْمِلُ خِيَارًا عَلَى حِمَارٍ ، فَأَدْخِلْهُ فَوْرًا ..

وَبَعْدَ قَلِيلٍ وَصَلَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى حِمَارِهِ ، يَسْأَلُ عَنِ الأَمِيرِ (مَعِنِ بْنِ زَائِدَةَ) فَسَمَحَ لَهُ الحَاجِبُ بِالدُّخُولِ عَلَيْهِ فِى خَيْمَتِهِ .. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ لَمْ يَعْرِفْ أَنَّهُ



هُوَ نَفْسُهُ الشَّخْصُ الَّذِى
قَابَلَهُ مُنْذُ قَلِيلٍ فِى الصَّحْرَاءِ ؛
وَذَلِكَ لِمَا رَأَى حَوْلَهُ مِنْ كَثْرَةِ الْخَدَمِ
وَالْحَشَمِ وَالْجُنْدِ وَالأَعْوَانِ ، فَلَمَّا
سَلَّمَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ (مَعْنٌ) :
ـ مَا الَّذِى أَتَى بِكَ يَا أَخَا الْعَرَبِ ؟
فَقَالَ الرَّجُلُ :

ـ جِئْتُ للأَمِيرِ بِخِيَارٍ فِي غَيْرِ أَوَانِهِ ، وَأَنَا أَطْمَعُ فِي كَرَمِهِ وَعَطَائِهِ ..

وَقَالَ (مَعْنٌ) :

ـ كَمْ أَمَّلْتَ أَنْ أُعْطِيَكَ ؟

فَقَالَ الرَّجُلُ :

ـ أَلْفَ دِينَارٍ ..

وَقَالَ (مَعْنٌ) :

ـ هَذَا كَثِيرٌ ..

فَقَالَ الرَّجُلُ :

ـ إِذَنْ خَمْسَمِائَةَ دِينَارٍ ..

وَقَالَ (مَعْنٌ) :

ـ كَثِيرٌ ..

وَظَلَّ الرَّجُلُ يَنْقُصُ الْمَبْلَغَ ، وَالأَمِيرُ (مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ) يَسْتَكْثِرُهُ حَتَّى قَالَ الرَّجُلُ :

ـ ثَلاثِينَ دِينَارًا ..



فَقَالَ (مَعنٌ) :

ـ كَثِيرٌ ..

وَقَالَ الرَّجُلُ فِي غَيْظٍ :

ـ وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي قَابَلَنِي فِي الصَّحرَاءِ مَشئُومًا ، هَلاَّ أَعْطَيْتَنِي أَقَلَّ مِنْ ثَلاثِينَ دِينَارًا ؟!

فَضَحِكَ (مَعنٌ) وَسَكَتَ ، وَعَرِفَ الأَعْرَابِيُّ أَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ الرَّجُلُ الَّذِي قَابَلَهُ فِي الصَّحرَاءِ ، فَقَالَ :

ـ يَا سَيِّدى ، إِذَا لَمْ تُعْطِنِى الثَّلاثِينَ دِينَارًا فَهَا هُوَ الْحِمَارُ مَرْبُوطٌ بِالْبَابِ ، وَهَا هُوَ (مَعن) جَالِسٌ أَمَامِى . .

فَضَحِكَ (مَعنٌ) حَتَّى اسْتَلْقَى عَلَى قَفَاهُ ، ثُمَّ اسْتَدْعَى خَازِنَ مَالِهِ ، وَقَالَ لَهُ :

ـ أَعْطِ ذَلِكَ الرَّجُلَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَخَمْسمائَةَ دِينَارٍ ، وَثَلاثمائَةَ دِينَارٍ ، وَمائَتَى دِينَارٍ ، وَمائَةَ دِينَارٍ ، وَخَمْسِينَ دِينَارًا ، وَثَلاثِينَ دِينَارًا ، وَدَعِ الحِمَارَ مَرْبُوطًا مَكَانَهُ . .

فَبُهِتَ الأَعْرَابِىُّ مِمَّا سَمِعَ ، وَتَسَلَّمَ أَلْفَيْنِ وَمِائَةً وَثَمَانِينَ دِينَارًا . . وَرَحَلَ عَائِدًا إِلَى أَهْلِهِ . .

(تمت)

رقم الإيداع : ١٩١٧ / ٢٠٠٤

الترقيم الدولي : ٩٧٧ ـ ٣٧٨ ـ ٠٢٣ ـ ٦